

الوصف الجغرافي للمدينة وضواحيها من خلال كتب الرحالة والجغرافيين عبر مختلف الفترات التاريخية

أ. طيب بوجمعة نعيمته
جامعة ابن خلدون، تيارت

إذا حددنا الموقع الجغرافي لمدينة المدية حاليا فهي تقع بالأطلس التلي على بعد 90 كم شمال العاصمة، ويحدها من شمالا ولاية البليدة وجنوبا ولاية الجلفة، أما من ناحية الشرق فتحدها ولايتي المسيلة والبويرة، ومن الغرب ولايتي عين الدفلى وتسمسليت. وتترجع على مساحة تقدر بـ 8700 كلم²، وهي على ارتفاع 900 م من سطح البحر. وبفضل موقعها الاستراتيجي الهام جعلها مرتبطة ومتصلة بشبكة متعددة من الطرق القادمة والمتجهة نحو الشرق والغرب، الأمر الذي جعل منها حلقة وصل ما بين منطقة الساحل والمضاب العليا.

ولكن وصفها وموقعها الجغرافي حاليا يختلف نوعا ما عن ما ورد في كتب الرحالة والجغرافيين عبر مختلف الفترات التاريخية ابتداء من العصر القديم ووصولاً لغاية العصر الحديث، وهو ما سنحاول الإشارة إليه من خلال بعض مؤلفات - وليس كلها - الجغرافيين والرحالة والمؤرخين العرب والأجانب.

المدينة في الكتابات التاريخية القديمة:

الفترة الرومانية: (146ق.م - 431م)

إنه لمن الصعوبة بمكان الحديث عن تاريخ المدينة في القديم، وذلك راجع لقلة المادة المصدرة بهذا الخصوص، فلا نجد الكثير عن وضع المدينة خلال هذه الفترة التاريخية إلا ما ذكره علماء الآثار كبيتون⁽¹⁾ (Piton) وستيفان قرال (Gsell) ولويس قولفان (Golvin)، فإنهم يرجعون الفضل في كشف النقاب عن آثار وتاريخ المدينة في الفترة الرومانية.

عرفت المدينة خلال هذه الفترة بتسمية "المبدية" (LAMBADIA)، أما هذه التسمية فلا يعرف بالضبط أصل تسمية الرومانية التي أطلقت على مدينة المدينة في عهد الاحتلال الروماني، أما عن تاريخ تأسيسها فالواضح أنها لم تبنى خلال العهد الفينيقي أو البوني (10ق.م حتى سقوط قرطاجة 146ق.م)، بل ظهرت خلال القرن الأول أو القرن الثاني الميلادي وليس قبلها حسب تقدير أحمد السليمان⁽²⁾.

أي أنها ظهرت في عهد موريطانيا القيصرية فخلال هذه المرحلة التاريخية بدأ ظهور المدن الجزائرية الرومانية، إذ ساهم النوميديون في بنائها، ولكنها لم تكن مدينة كبيرة كيول أو إيكوزيوم وغيرهما من المدن المعروفة آنذاك، ويغلب على الظن أنها كانت مدينة استعمارية عبارة عن حامية تقيم فيها جالية رومانية مع خليط من الأهالي البربر.

الآثار الرومانية بمنطقة تابلاط:

إن الحديث عن "منطقة تابلاط" خلال الفترة القديمة هو كلام لا يسد رمق الباحث، إذ لا نجد كتابات عنها إلا ما ذكره بيتون بالمجلة الإفريقية خلال العهد الروماني، أما ما قبل ذلك فلا نجد الشيء الكثير خاصة وأن المدينة أسست في عهد الاحتلال الفرنسي، أما الفترة الإسلامية فلا حديث إلا عن "المدينة" وضواحيها كأشير مثلاً.

منطقة تابلاط: عثر المؤرخ الفرنسي بيتون -أثناء فترة الاحتلال الفرنسي- على بقايا لآثار رومانية بمنطقة تابلاط، وذلك عند حفر أساس بناء المستشفى العسكري الجديد بالمدينة، الذي شرع الفرنسيون في بنائه سنة 1856م بعد استيلاءهم على المدينة.

فتم اكتشاف رفات قديمة مع تحف ومزهريّة عليها صورة امرأة وفخار ونقود برونزية وفانوس رمادي اللون، فقام على إثرها مترجم الجيش السيد فلريان فرعون (Florian Pharaon) بجرد قائمة بأسماء وأوصاف الآثار التي عثر عليها تحت أساس المستشفى.

وطلب المترجم فرعون من المراسلين حسب ما ورد في تقريره، بأن يقوم المختصون ببذل قصارى جهدهم من أجل العثور على النقش الحجري الروماني الذي أشار إليه الجنرال دوفيفي (le Général Duvivier)، وكذا العثور على أثر اثنين من شواهد القبور، والتي تم حفظها فيما بعد بدار الخزانة القديمة⁽³⁾.

وإلى جانب مدينة لمبديّة أنشأت مدن أخرى في هذه الفترة، كمدينة أوزيا (Auzia) وهي مدينة سور الغزلان حالياً، والتي كانت عبارة عن مركز عسكري مهم تم تشييد مبانيه على سفح جبل مرتفع واقع بين نهرين، وبنيت المدينة خصيصاً على هذا النجد نظراً لأهمية الموقع جغرافياً، فموجب موقعه هذا يمكن الالتحاق بالغرب أو الجنوب بكل سهولة ويسر، وكان لها بلدية جعل منها سبتيموس سواريس مستعمرة.

كما شيد الرومان أيضاً مدينة أخرى وهي مدينة رابيديوم (Rapidum) سور جواب اليوم في الجنوب الغربي للمدينة ناحية شلالة العذاورة، بنيت على منحدر كائن في سهل بني سليمان الفسيح، وظهرت لأول مرة سنة 122م، شيدها الإمبراطور سبتيموس سيفيروس، وكانت عبارة عن حامية رومانية -Cohorte-، ثم تحولت إلى مدينة كاملة في تخطيطها وتنظيمها العمراني Documanus-Cardus ثم بدأت تضعف عسكرياً سنة 201 م، وكانت تابعة لموريتانيا القيصرية.

أما مدينة تناراموزا (Thinaramusa)، والتي تمثل مدينة البرواقية في القديم ولو أنها تبعد عن المدينة الحديثة بكيلومترين تقريبا، وكانت تناراموزا موجودة في الموقع الذي بني فيه سجن البرواقية، كما كانت لمدينة تحتل مكان المدينة⁽⁴⁾.

وقد قام عالم الآثار الفرنسي بيتون بالتنقيب عن الآثار الرومانية بناحية المدينة، وتحديدًا بمنطقة تابلاط⁽⁵⁾، كما حددها أيضا المؤرخ وعالم الآثار الفرنسي ستيفان قزال في مؤلفه "الأطلس الأثري للجزائر" بالمنطقة الجبلية منها، رغم أن منطقة "تابلاط" لم تذكر إلا في ثلاث مواضع فقط من الكتاب، ولم تضم إلا نورا يسيرا من المعلومات⁽⁶⁾.

وكان للتنقيب الذي قام به بيتون فائدة عظيمة إذ رفع الغبار عن آثار المنطقة التي وجدت بالقرب من تابلاط على بعد كيلومتر واحد و300 مترا بالجنوب الغربي للمدينة، وتبعد هذه الآثار بـ 3 كلم و500 م عن وادي الحد ووادي اليسر. وهي عبارة عن بناء مستطيل (70م/25م) مازالت جدرانه المبنية بالحجارة الكبيرة بادية للعيان، مقاسها (1م/60سم) مما يدل على أن البناية كانت بحالة جيدة.

كما وجد مبنى آخر بالناحية الشمالية الشرقية، هو الآخر مستطيل الشكل (7م/4م) أرضيته مكسوة بحصى ذات أحجام متساوية مما يدل على دقة البناء وحسن التنظيم، وعلى الأرجح أنه كانت هناك غرفة أرضية أسفل الآثار، استعملت كمخازن للمؤونة مقابل واد الحد. وموقع البناية يسمح برؤية عامة وشاملة للمرتفع ولجبل مسقيدة، مما يجعل من المبنى مراكز هاما للمراقبة والاتصال وحفظ أمن وسلامة المنطقة.

كما وجدت بقايا رومانية شمال الآثار الأنفة الذكر على بعد 200م، وهي عبارة عن مركز مراقبة آخر هو بدوره مستطيل الشكل (20م/30م) مع قنوات للماء مصنوعة من الفخار (قطرها 15-20سم). وفي غرب مدينة تابلاط على بعد 1 كلم و300م وجدت بـ "تلرزاق" آثار رومانية أخرى ممتدة على مساحة تقدر بـ: 100م² بها بقايا أحجار

استعملت في البناء الأرضية⁽⁷⁾. وهناك بقايا رومانية في شلالة العذاورة تتمثل في مقبرة رومانية وآثار لحامية عسكرية بالجنوب الغربي للمدينة قرب منبع عين الشلالة.

وجاء ذكر مدينة لامبديا أيضا في رحلة د/ شو الإنجليزي واعتمد في وصفه على ما ذكره بطليموس، كما ذكرها الرحالة الألماني هايزيش فون مالتسان فقد مر على جسر روماني خلال منتصف القرن التاسع عشر الميلادي قرب مدينة المدية وذلك أثناء زيارته لها، وأضاف أن لامبديا مدينة رومانية حصينة محاطة بأسوار ضخمة، مازالت بقايا أحجارها ماثلة للعيان، فوصفت بأنها مقام الأسقف في مجلس قرطاجنة عام 464م⁽⁸⁾.

المدينة خلال العصر الوسيط (الفترة الإسلامية):

لقد ورد ذكر المدينة في مؤلفات المؤرخين والجغرافيين العرب وحتى الأوربيين، منهم من مرّ عليها مرور الكرام ومنهم من فصل نوعا ما في ذكرها ووصفها، ورغم التشابه في النطق بين تسمية "لامبديا" وتسمية "المدية" فيرجح أن يكون اسم المدينة المحلي مشتق إما من اسم عربي، أو اسم القبيلة الصنهاجية "لمدية" حسب ما ورد لدى ابن خلدون.

ففي الفترة الإسلامية ورد ذكرها لدى البكري ابن خلدون وغيرهما، باعتبارها سبتة هامة خاصة في الفترة الزييرية. فنظرا لقوة الزييريين طلب منهم المنصور الفاطمي تحصين دولتهم، عن طريق بناء المدن والحصون والقصور والحمامات وغيرها من المباني بأشهر⁽⁹⁾، لذا أمر زييري بن مناد ابنه بلكين ببناء ثلاث مدن منها "المدية"، ولمدية بدون ألف هي أصل المدية وهي اسم لإحدى بطون صنهاجة حسب رواية ابن خلدون⁽¹⁰⁾.

وأشار إليها البكري ووصفها (ق: 5هـ / 11م) بقوله: "بلد جليل قديم وهي على نهر كبير عليه الأرحاء والبساتين، ويقال لها متيجة ولها مزارع شاسعة وصهاريج وهي أكثر تلك الربوع كثانا ومنها يحل وفيها عيون وطواحين ماء"⁽¹¹⁾.

أما ابن حوقل (ق: 4هـ/10م) ذكر مدينة ريغة وأشير فوصفها بقوله: "مدينة حصينة لها عيون ثرة"⁽¹²⁾. أما المؤرخ التنسي (ق: 9هـ/15م) ذكر بأن المدينة تبعد عن الجزائر العاصمة بنحو ثمانين كيلومترا (80 كلم)، وتعتبر من بين أهم مدن التيطري وأن لمدينة دون ألف هي أصل كلمة "المدينة"⁽¹³⁾.

وذكرها الحسن الوزان (ق: 10هـ/16م) في كتابه "وصف إفريقيا" عندما زار بلاد المغرب الإسلامي، ذكر بأنها بنيت بيد أهل البلاد فقال: "أن المدينة مدينة بناها الأفارقة في تخوم نوميديا على بعد 80 ميلا من البحر المتوسط"، كما أشار إلى ثراء أهلها نظرا لاشتغالهم بالتجارة وللخصوبة بلادهم مما ينعكس إيجابا على الجانب الاقتصادي إذ تنتعش الفلاحة والزراعة، وهو ما نستشفه من قوله: "...سكانها أثرياء لأنهم يتجرون مع نوميديا، ويرتدون لباسا أنيقا ويسكنون دورا جميلة". ونظرا لطيبة أهلها وهواءها أراد الرحالة الحسن الوزان المكوث والعيش بها لكنه لم يتمكن من ذلك نظرا للمهمة التي أوكلت إليه من قبل السلطان المغربي، وهو ما ذكره في كتابه "...حتى هممت أن أستقر بهذه المدينة لولا اضطراري إلى مغادرتها بسبب المهمة التي كلفني بها مولاي"⁽¹⁴⁾.

أما مدينة "أشير" فتقع فوق ربوة تطل على بلدية الكاف الأخضر ناحية شلالة العذاورة، وتبعد بحوالي 10 كلم شمال شرق عين بوسيف، وهي أول عاصمة للزيريين أجمع المؤرخون والجغرافيون على أن تأسسها يرجع إلى إلى زيري بن مناد الصنهاجي سنة 324هـ/936م، ووسعت على عهد خليفته بلكين سنة 361هـ/972م. ووقع اختيار مكانها نظرا لوفرة المياه به وإطلالها على سفوح الجبال الدائرة بها، وكذا كما كانت الحياة العلمية فيها رائجة، جلبت لها أشهر البنائين من إفريقية والمسيلى، كما شيدت بها القصور كقصر بنت السلطان الذي مازالت بعض أطلاله شاهدة عليه⁽¹⁵⁾، وبنيت المدينة على ثلاث مراحل التأسيس وبناء السور وتشيد القصور والمنازل والحمامات⁽¹⁶⁾.

المدينة أثناء العهد العثماني والفترة الاستعمارية:

كما جاء ذكر المدينة في كتابات مؤرخي العهد العثماني كحمدان خوجة في كتابه "المرآة" (1833م) ولكن وصفه للمدينة جاء مقتضبا، إذ تطرق لوصف السكان والمناخ فقط، فقال: "سكانها شجعان ومتصلبون، لا يميلون للصناعة، مناخها معتدل ولكنه بارد دائما تقريبا، إنهم يجنون ثمارا ممتازة والجوي صحي في منطقتهم" (17).

كما ورد ذكرها أيضا في كتاب الآغا المزارعي (ق: 13هـ/ 19م) فذكر بأن بلكين بن زيري اختط مدينة المدينة والجزائر ومليانة بأمر من أبيه وكان ذلك في أواسط القرن 4هـ/ 10م (18).

وكانت المدينة عاصمة لبايك التيطري خلال الفترة العثمانية، فكانت بحق مركزا حضاريا هاما فقد ضم العديد من العائلات العريقة، إضافة للعائلات التركية والأندلسية، ومركزا لأصحاب الحرف، مما جعلها مدينة متنعة اقتصاديا. ويعتبر الباي "مصطفى بومزراق" (19) آخر من حكمها من البايات، فكانت إقامة شتوية لباي بايلك التيطري.

وكانت أيضا مركزا إداريا لتسيير شؤون البايك، وفي عهد الباي بومزراق شهدت المدينة نهضة عمرانية إذ شيدت العديد من المباني كالمسجد المالكي وحوش الباي ودار الباي. واستعملها الأمير عبد القادر (20) كمقر إداري وعسكري لدولته إبان مقاومته للاحتلال الفرنسي، فدخلها سنة 1253هـ/ 1837م بعد أن قضى على خصمه "موسى الأغواطي الدرقاوي الشريف" (21)، فولى على رأسها أخوه "مصطفى بن محي الدين" ثم عزله بعدها ووضع مكانه "محمد بن عيسى البركاني" (22).

أما في الكتابات الأجنبية الفرنسية منها - التي ألفت في عهد الاحتلال - فقد أشارت وفصلت في أحيان كثيرة في وصف المدينة خاصة من الناحية الجغرافية، وهو أمر معلوم ومعروف غايته، من بين هؤلاء المؤرخين الفرنسيين المؤرخ غوتيه (E.F).

(Gautier) الذي زار المدينة أثناء رحلته "للتل"، وصفها بقوله أنها: "مدينة كبيرة وقوية بفضل موقعها الجغرافي الهام"⁽²³⁾.

وهو أمر صحيح إذ تقع المدينة على مفترق الطرق المنطلقة نحو الجهات الأربع، مما جعلها تحتوي على أسواق عديدة يتم فيها تبادل مختلف السلع، القادمة إليها من مختلف المناطق كشرشال والجزائر ومليانة وغيرها من المدن، وهو الأمر نفسه بالنسبة لمنطقة تابلاط التي كانت بحق سوق تجاري هام تتم فيه مبادلة وبيع وعرض مختلف المنتجات والبضائع الموزعة على مختلف الأسواق.

واتفق كل من شارل أندري جوليان (Ch. André Julien) وقزال (Gsell) على أن المدينة اليوم مكانها "لمباديا" القديمة حسب التنقيبات الأثرية المقامة في المكان والتي ذكرها بربرغوجر (Berbrugger) بمقالته في المجلة الإفريقية لسنة 1857م⁽²⁴⁾.

ولقد زار المدينة أيضا المترجم ليون روش (ق: 13هـ/19م) الذي رافق جيش المارشال كلوزيل عندما هاجم المدينة سنوات 1836-1838م⁽²⁵⁾، فرافقه بصفته مترجما عسكريا محلفا من قبل اللجنة الإفريقية الأولى والتي قدمت للجزائر سنة 1833م، ولكن معرفة روش بالمنطقة تعود لأيام شبابه عندما لحق بوالده لمساعدته بالفلاحة، فقد كان مالكا لمزرعة وأراض سهيل متيجة. ولكن روش في كتابه أو مذكراته لم يشير إلى وصف للمدينة أو مناخها أو سكانها بل ذكر فقط هجومات كلوزيل عليها.

نموذج عن بعض القبائل المتوطنة بالمدينة ومنطقة تابلاط من خلال تقرير "فلوريان فرعون":

لقد تحدث مترجم الجيش الفرنسي "فلوريان فرعون" عن القبائل المنتشرة بالمدينة وضواحيها خلال فترة الأولى للاحتلال بين سنتي 1857-1858م، فتطرق للحديث عن قبيلة "حسان بن علي" والقبائل المنحدرة عنها والمتوزعة بالمدينة وضواحيها منها منطقة تابلاط، فأشار في حديثه عن أصل تسمية بعض القبائل ومناطق توزعها وسنة

استقرارها بالمنطقة، وكذا علاقاتها مع سلطة الاحتلال. وهو ما سنوضحه من خلال سرد ما أورده بالمجلة الإفريقية، دون إغفال مناقشة بعض ما ورد في مقاله، كما لا سي أن نشير إلى أن معلومات فلوريان فرعون عن قبائل المنطقة لا تتعدى سنة 1766م أما ما قبلها فلا معلومات عنه.

I- قبيلة حسان بن علي: تنتشر هذه القبيلة وفروعها بالمدينة وضواحيها، ونظرا لفقدان المادة المصدرة فإن أصلها التاريخية غير معروف بمعنى أن جدهم الأول مجهول الاسم، فقد تشكلت هذه القبيلة عن طريق هجرات متعددة لمختلف القبائل العربية والبربرية. وقبيلة كريكر هي التي أعطت اسم جدها "حسان بن علي" لهذا لعرش⁽²⁶⁾.

القبائل المشكلة لعرش حسان بن علي:

وهي ست قبائل أولاد ملال، أولاد فرقان، أولاد طريف، أولاد براهيم، أولاد عيزة، والغرابة. امتدت مضاربهم شمالا من بني بويعقوب، أوزية، وجنوبا تحدها مضارب عبيد وأولاد سيدي ناجي وبني سليمان البليدة، أما شرقا بني سليمان وغربا مثل هواة⁽²⁷⁾. وتعددت مصادر المياه بمضاربهم كواد القلثة وواد البساس وواد قور وواد زرارين، أما هضابهم وسهولهم منها المراشدة بني شكاو وبني سليمان.

1- أولاد عامر: وجدوا بالتيطري وهم أول من استقر بمضارب حسان بن علي، يسهم هو "بن زكور" بعد أن اختلف مع أخيه البكر حمل خيامه وانطلق مع من تبعه فأول أخوه ثنيه عن ذلك بقوله: "يا بن زكور نعل الشيطان"، فأجابه بن زكور: "إني مليت"، فرد عليه أخوه: "روحوا يا بني ملال". ومن هنا حافظ أولاد عامر على مية "أولاد ملال".

2- أولاد معيزة: حسب ما ورد في مقال فلوريان فرعون فإنهم كانوا يعيشون حياة بسيطة للغاية سكنوا مضارب حسان بن علي وهم غرباء عنهم، يعيشون على أكل حبوب البقوقة وحليب الماعز، ولا نعلم الكثير عن عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم. اتصل بهم أولاد ملال ونزلوا معهم ثم نادوا إخوانهم أولاد منديل، الذين هاجروا منذ زمن لسهل متيجة استقروا بواد الشلف، إذن فأولاد ملال هم خليط من أولاد عامر من التيطري وأولاد منديل من متيجة⁽²⁸⁾.

3- أولاد فرقان: يتكونون من سبعة قبائل هي:

أ- أولاد كريكري: أصلهم من أولاد مُعرّف هاجروا إلى المنطقة منذ ثلاث قرون.

ب- أولاد مشت: قدموا من بدرانة.

ج- أولاد الحلسات: أرغموا على ترك موزاية بسبب الحرب التي وقعت بين سومة الذين طردوا بورومي سنة 1023هـ/ 1614م.

د- أولاد جفيفة: ينحدرون من نسل أولاد أبي الليل، أولاد حمزة أومال.

هـ- أولاد علي: أصلهم من بني علي من موزاية.

و- أولاد بن مقاتل: مرابطوا مجاهر⁽²⁹⁾ بمستغانم⁽³⁰⁾. وهذا يعني أن قبيلة أولاد مقاتل ليست من المنطقة بمعنى أنها قدمت إليها من الغرب من منطقة مستغانم تحديداً وهم عرب بطن من سويد بن مالك⁽³¹⁾.

ز- أولاد سيدي عبد الله بن خطاب وأولاد محمد: يرجع أصلهم لحشم غريس بمعسكر

4- غرابية: يتكونون من خمسة بطون وهي:

أ- أولاد بوهية (Bou Ihia): هم فرع من قبيلة بوعيشة ببوغار، والتي انفصلت عنها بعد ذلك.

ب- أولاد سايية: فرع من قبيلة رحمان الذين هاجروا في نفس فترة هجرة أولاد بوهية.

ج- بني شكاو: عائلة ثرية قدمت واستقرت مع حسان بن علي مع سنة 1638م هربا من باي قسنطينة الذي قطع رؤوس الدواودة إخوانهم.

د- أولاد سيدي علي بن محمد: يرجعون إلى فليته⁽³²⁾ الأربعة.

هـ- أولاد باسور: هم فرع من مجاهر قدموا مع أولاد مقاتل (المقاتلية).

5- أولاد براهيم: يضمون بطنيين هما:

أ- أولاد بن هيصام: ينحدرون من أولاد مريم أومال

ب- المحارزة: فرع من زناخرة بوغار -قصر البخاري حاليا-

6- أولاد طريف: يضمون كلا من :

أ- أولاد ساسي: فرع من بني خليفة من بني سليمان.

ب- أولاد ضوييف وأولاد يعله: الذين انفصلوا عن أولاد عنتر ببوغار بعد الحرب التي نشبت بين أولاد مختار سنة 1768م⁽³³⁾.

من خلال عرض تركيبة قبيلة "حسان بن علي" يتضح لنا عدم وجود ترابط عائلي بينها بمعنى أن كل قبيلة وبطن لا تربطه صلات مصاهرة، كما هو معروف لدى القبائل الأخرى، وهو الأمر الذي يفسر الحروب التي قامت بينهم وسيطرت القبيلة الأقوى فيهم على المجموعة. وغالبا ما كانت الزعامة متداولة بين أولاد فرقان وأولاد غرابة.

أما بالنسبة للحضر فكانوا حسب فلوريان فرعون متفرقين لم يجتمعوا إلا حين مهاجمة فرنسا للمدية، وأما القبائل الأنفة الذكر فقد انقسمت إلى فريقين أحدهما التحق بفرنسا - طلبت قبائل عبيد والدواير حماية فرنسا- والقسم الآخر التحق ببلي قسنطينة، ثم انضم

عرش حسان بن علي إلى موسى الدرقاوي مع قبائل التيطري عندما استقر بالبرواقية، وبعد انهزامة أمام الأمير عبد القادر ابتعدت عنه القبائل فرجع "حسان بن علي" إلى مضاربهم وأعلنوا بعد شهر طاعتهم لخليفة الأمير، وبعد رحيله تفرقت القبائل وسادت الفوضى ثم عادوا مرة أخرى ودخلوا في طاعة الأمير عبد القادر⁽³⁴⁾.

وبعد سيطرت القوات الفرنسية على مدينة المديّة عينوا بن محمد أخ الشيخ عويوة على رأس قبائل حسان بن علي ومع سنة 1852م عوض بابن أخيه حاج عبد القادر بن عويوة، وأصبحت حسان بن علي من أثرى قبائل المنطقة، إذ قدرت ثروتهم سنة 1857م بـ: 5.112 هـك من الأراضي المزروعة، و3.817 رأس بقر، و8.621 رأس غنم، و4.780 رأس ماعز، و193 حصان، و196 بغل، وكان عددهم مقدراً بـ: 3.000 نسمة⁽³⁵⁾.

II- الشرفيّة: فهم من نسل مولاي دريس من فليّة معسكر، ومع سنة 940هـ/1533م قدم أحد أجدادهم "سي محمد بن سلطان" الذي كان مرافقاً للأمير تلمسان وبسبب مناوشات بينهما هاجرت عائلة "سي محمد بن سلطان"، وأثناء هذه الرحلة قتل فخلفه ابنه "يحيى" على زعامة العائلة، فقادهم إلى أراضي بني سليمان أين توفي سنة 964هـ/1556م فبنوا له قبة ما زالت لغاية اليوم. ومع سنة 1858م كان عددهم يقدر بـ: 300 نسمة⁽³⁶⁾.

III- هواره: استقروا بين واد ريغة وبني حسان، أرجع فلوريان فرعون أصلهم إلى قبيلة أمازيغية، ونحن نعلم أنهم بربر حسب ابن خلدون وإن كان قد وضع لهم نسباً في حمير بن سبأ.

وحسب رواية سكان المنطقة والتي أوردها فلوريان فرعون في مقاله فإن هواره كانوا فرسان مخزن سلطان تيهرت أي في خدمة عبد الوهاب بن رستم، الذي أخذهم لخدمته واستقدمهم من طرابلس، وجزء منهم قدم إلى الغرب لغاية منطقة البطحة⁽³⁷⁾. وكانوا

الوحيدين المخول لهم حمل السيف فأطلقت عليهم تسمية "الأحراش" نسبة لسيوفهم المعدة خصيصاً للتوغل في الأحراش والمناطق الغاية وأعطيت التسمية لجدهم "عامر الحسين". وبعد طردهم من تيارت سكنوا عزيب وأعطوا للنهر الذي بقرب المدينة اسم "واد الأحراش". وكان لديهم ست زوايا لعل من أشهرها: زاوية سيدي عنان. أما فروهم منها: الرواطة، أولاد عمران، أولاد صالح، المناصيرية، أولاد داود.

VI- موزاية: هاجروا إلى منطقة الريف المغربية مع نهاية القرن 6هـ/12م بقيادة سيدي أحمد بن علي إلى الجزائر أين استبعدوا من قبل سكان سطيف فبحث له عن ملجأ بـجبال المتيجة، فكون قبيلة موزاية، وطوال سنوات عديدة كانوا في صراع مع جيرانهم حول المضارب، ولم ينته هذا الأمر حسبهم إلا بعد مقدم "سي محمد بوشكور" وبفضل إرادته والقدرة الإلهية قادهم ونزع ما بهم من هم، وجعل أرضهم أرضاً خصبة بأن حفر لهم واد غازر أغرق سهل متيجة وسمي بـ"واد الشفا"، وبعد وفاته بني له ضريح شرق تامزقيدة.

ومن فروعهم: زدينة، بوعلاهم، بني عطالي، تادينارت، أولاد حسين، الفقائيرية، وانفوف، الحشم والشامعة والقسايمية⁽³⁸⁾.

الهوامش:

(1) بيتون: أستاذ مجاز في الحقوق وعضو الجمعية التاريخية لناحية سطيف، له مقالات عدة منشورة بالمجلة الإفريقية.

(2) أحمد السليمان، "مدينة المدية وضواحيها في العهد القديم". الملتقى الرابع للبحث الأثري والدراسات التاريخية، وزارة الاتصال والثقافة، مديرية التراث الثقافي، تندوف، أيام 19-24 أبريل 1996، ص: 31.

(3) F. Pharaon, «province d'Alger». Revue Africaine, Année: 1856-1857, N: 1, Alger: OPU, P : 139.

(4) شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية. تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس: الدار التونسية للنشر، ط: 1969، ج: 1، ص ص: 237-238.

- (5) Piton, « Notes sur la région de Tablat ». 1^{er} congrès de la fédération des sociétés savantes de l'Afrique du nord, Revue Africaine, Année: 10-11 juin 1935, P : 229.
- (6) Gsell Stéphane, Atlas Archéologique de l'Algérie,
- (7) Piton, Op.cit, PP : 230-235.
- (8) أحمد السليمانى، المرجع السابق، ص: 34-35.
- (9) Golvin Louis, Le Maghreb central à l'époque des Zirid. Recherches d'Archéologie et d'histoire. Paris : Arts et Métiers graphiques, Ed : 1957, P90.
- (10) ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط: 1418-1419هـ/1998-1999م، ج: 7، ص: 188.
- (11) البكري أبو عبد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت، ط، ص: 65-66.
- (12) ابن حوقل أبو القاسم النصيبي، كتاب صورة الأرض. بيروت: منشورات مكتبة الحياة، د.ط، ص:
- (13) التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في ذكر شرف بني زيان. تح: محمود بوعباد، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط: 1405هـ/1985م، ص: .
- (14) الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقية. تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: 1983، ج: 2، ص: 41.
- (15) ابن خلدون، المصدر السابق، ج: 7، ص: 813. النويري أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب. تح: مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء: دار النشر المغربية، د.ط، د.ت، ط، ص: 209. ابن حوقل، المصدر السابق، ص: 85.
- (16) بورويبة رشيد، مدن مندثرة (تاهرت، سدراتة، أشير، قلعة بني حماد). الجزائر: وزارة الثقافة والإسلام، ط: 1981م، ص: 67.
- (17) حمدان خوجة، المرأة. تح: محمد العربي الزبيري، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط: 1982م، ص: 96.
- (18) الآغا بن عودة المازاري البعثاوي، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر. تح: يحي بوعزيز، الجزائر: دار البصائر، ط: 2007م، ج: 1، ص: 135.
- (19) مصطفى بومزراق: كان حاكما لبابك التيطري على عهد أحمد باي، تولى إدارته (1235-1245هـ/1819-1830م)، بعد الاحتلال الفرنسي ودخولهم مدينة الجزائر أعلن بومزراق الالتزام بالاتفاق المبرم ادعى لقب الباشا وراسل أحمد باي كي يعترف به لكن هذا الأخير رفض، ثم أعلن بعدها الحرب ضد فرنسا فعزله كلوزيل وعين مكانه مصطفى بن الحاج عمر. نفي بعدها إلى الإسكندرية. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية (1830-1900م). بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: 1992م، ج: 2، ص: 38.

- (20) الأمير عبد القادر (1222-1300هـ/1807-1883م): هو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد المختار الحسني، أمير ومجاهد وشاعر وأديب وعالم، ولد بالقيطنة بمعسكر. أدى فريضة الحج مع والده سنة 1241هـ وزار بغداد ودمشق ثم عاد للجزائر سنة 1833م، بايعه الجزائريون وتولى أمر الجهاد، ضرب عملة سماها "المحمدية"، كما أنشئ مصانع للأسلحة وملابس للجند. بعد القبض عليه نفى إلى تولون ومنها إلى أنبواز سنة 1847م ثم إلى سورية دمشق سنة 1271هـ. من مؤلفاته: "المواقف" و"المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطن والإلحاد". عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر. ص ص: 103-104.
- (21) الدرقاوي (ت: 1312هـ/1895م): هو محمد بن عبد الله الدرقاوي ينتمي لقبيلة أهل رويسة قرب تيموشنت، بدأ حياته كمعلم للقرآن سنة 1840م بإحدى زوايا تلمسان، ثم اشترك بعدها مع الفرنسيين في قتال الأمير فمناحوه لقب "السلطان" وعينه خليفة على سكان المنطقة الغربية سنة 1841م، ثم اختلف بعدها مع الفرنسيين فخرج سنة 1844م وعاد بعدها للجزائر مع سنة 1850م ليبدأ الثورة ضد الاحتلال، توفي بالجنوب التونسي سنة 1895م. المرجع نفسه، ص: 188.
- (22) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2: 1990، ص ص: 270-271. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط: 1415هـ/1994م، ج: 4، ص: 96.
- (23) Gautier E.F, structure du l'Algérie. Paris : Société d'études géographiques et scientifiques, Ed : 1922, P : 30. 149.
- (24) Revue Africaine, Année: 1857-58, P: 495.
- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج: 1، ص: 238.
- (25) مناصرة يوسف، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1832-1847م). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط: 1990م، ص: 13، 17، 25.
- (26) Florian Pharaon, Notes sur les tribus de la subdivision Médéa. Revue Africaine, A⁰: 1857-1858, N⁰: 2, Alger : OPN, 1985, P: 50.
- (27) هواره: من الطوائف بطونهم كثيرة منها: ونيف بنواحي ثنية، بنو كملان حيث المسيلة نقلهم القائم الفاطمي إلى فج القيروان، ومنه أيضا مليلة وهقار بالصحراء جوار لمطة المثلثين. وكان جمهورهم بطرابلس وبرقة. أشهر مواطنهم بالجزائر: القلعة المظلة على البطحاء نواحي سيق غرب نهر مينة، حيث ملكوها بعد انقراض أمر بني يلومي من بطونهم سدراتة. أوراس كانت تحت سيادة لواتة، نواحي تبسة إلى باجة. الميللي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج: 1، ص ص: 224-225.
- (28) Florian Pharaon, Op.Cit, PP: 47-48.
- (29) Ibid, PP : 48-49.

(30) مستغانم: أو مستغانيم مدينة قديمة تكرر ذكرها لدى الجغرافيين والرحالة القدماء، تقع على شاطئ البحر على بعد 90 كلم شرق مدينة وهران. يقال بأنها أسست حوالي سنة 453هـ/1061م، عرفت أوج ازدهارها في الفترة العثمانية. التنسي، المصدر السابق، ص: 287.

(31) مجاهر: بطن من سويد بن مالك بن زغبة من هلال بن عامر، من بطونها: رفيع وشافع ومالف وبوكامل وبورحمة وحمدان وهبرة، اشتهرت بطونها بالفلاحة، وتتمركز القبيلة بجنوب شرق مستغانم. ابن خلدون، المصدر السابق، ج: 6، ص: 95. مذكرات الأمير عبد القادر سنة 1849م. تح: محمد الصغير بناني ومحفوظ سماتي ومحمد الصالح الجون. الجزائر: شركة دار الأمة، ط: 1994م، ص: 107، هـ: 5. كحالة عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة. بيروت: دار العلم للملايين، ط: 1388هـ/1968م، ج: 2، ص: 39. طيب بوجمعة نعيمة، "كتاب نسب زغبة ومنتهى أصلهم". دراسة وتحقيق لمخطوط أبي الحسن بن علي التلمساني. مذكرة ماجستير بقسم الحضارة الإسلامية، إشراف: بن معمر محمد، جامعة وهران، 2007م.

(32) فليقة: قبيلة عربية فخذ من سويد بن مالك بن زغبة من بني هلال بن عامر، موطنها ما بين غليزان وتاهرت وجنوب الشلف، ومع القرن 13هـ/19م نزلت فليقة بين أغاليك الغرابية ومجاهر وأغاليك الشراقة بوادي الشف على نهري مينة ومنساس، كما نزلن بسيدي طيفور فوق يلل. كانت تضم 21 بطنا. كما أن فليقة دوار أسس بموجب القرار الفرنسي الصادر يوم 1869/02/24م على بعد 12 كم جنوب غرب غليزان على الضفة اليمنى لوادي الشلف. ابن خلدون، المصدر السابق، مج: 11، ص: 95. ابن سحنون الراشدي، الثغر الجمانى في ابتسام الثغر الوهراني. تح: المهدي البوعبدلي، الجزائر: منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، د.ط، د.ت.ط، ص: 71. المزاري، المصدر السابق، ج: 2، ص: 188. طيب بوجمعة نعيمة، المرجع السابق، ص: 123.

Le Myer de Villers et F. Accardo, Répertoire Alphabétique des Tribus et Douars de L'Algérie. Alger, 187, P: 20.

(33) Florian Pharaon, Op.Cit, PP: 48-49.

(34) Ibid, PP: 50-53.

(35) Ibid, P: 54.

(36) Ibid, P: 302.

(37) البطيحة: أو البطحاء مدينة ورد ذكرها لدى الرحالة ابتداء من القرن 5هـ/11م كمحطة هامة بين مازونة وقلمة بني راشد. اختلف حول موقعها فالمقدسي ذكر بأنها مدينة تيهرت، وقيل هي بالقرب من تلمسان إلى أن ثبت للمهدي البوعبدلي بأنها قرية "المطر" التي كانت تسمى "كلانشا" في عهد الاحتلال وهو ما ذهب إليه يحي بوعزيز. وهي تقع غرب غليزان على بعد 10 كلم. المقدسي شمس الدين أبو عبد الله الشامي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. بيروت: دار صادر، ط: 1996م، ص: 155. الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج: 2، ص: 133، هـ: 1.

(38) Florian Pharaon, Op.Cit, P: 397-398.